الزّهد

الزهد

الزهد حالة روحية وهي مرحلة أولى في بناء الشخصية المسلمة، قال تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيْرٌ ﴾[1].

وهو مقام السالكين وهو انصراف الرغبة عن كل شيء إلى ما هوخير منه، فهو ميل؛ وفيه مرغوب عنه ومرغوب فيه، فالزاهد الذي عرف الله حق معرفته وأيقن أن ثواب الله أعظم فهو الذي يرغب بالله وباليوم الآخر، وما يتحقق فيه رضاء الله ويترك كل ما يعيق تحقيق ذلك.

والزهد ليس فيه الحلال والحرام؛ فالحرام تركه واجب والحلال أقسام، منها ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب، فالدنيا من مأكل ومشرب وملبس ومسكن هي وسائل لتحقيق العبودية، وإنما يكون الزهد في عدم الانغماس النفسي في هذه الأشياء لئلا تصبح غاية في ذاتها، وهنا نجد أن الفارق بين الزاهد والمنغمس في الدنيا فارق كالشعرة؛ لأن المنغمس في الدنيا يعيش فيها ولها، والزاهد فيها يستخدمها لأهداف سامية، فإذا تضاربت مع أهدافه وغايته أعرض عنها لتحقيق أهدافه بينما المنغمس فيها يتعايش معها ويستخدمها؛ ويعمل كل ما بوسعه لتحقيق مضامينها، ولو استخدمها من

---

(١) سورة القصص: ٨٠.

أي طريق شاء حتى تؤدي به إلى الابتعاد عن هدفه الكبير وهو حقيقة العبودية، والزهد عمل من أعمال القلب وليس من أعمال الجوارح.

وعلاماته كثيرة منها:

١ـ ألاَّ يفرح الزاهد بموجود ولا يحزن على مفقود ﴿لِّكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ﴾[1]، وهذه صفة لا تتقيد بغني أو فقير؛ فهي حالة نفسية يصل إليها المسلم بأن يعلم أن الفرح الحقيقي عندما تتحقق سعادة النفس وطمأنينتها وليس في وجود الشيء أو عدمه، وعندما يصل إلى درجة اليقين بأن وجود الشيء وعدمه سيَّان.

٢ـ ومن علامات الزهد النفسية والروحية استواء الذم والمدح؛ لأنه يعلم أن ذمه لا يقدم ولا يؤخر شيئاً عند الله عز وجل؛ ومدحه أيضاً. وإنما المدح والذم ينطبق على ما يمدحه الشرع، وما يذمه الشرع. ولا يكون متعلقاً بالمخلوقات لأن التعلق بغير الله من الأمراض النفسية التي يعيشها المسلم لضعف صلته بالله عز وجل.

٣ـ الزاهد المؤمن هو الذي سمت روحه إلى مقام الأنس بالله عز وجل، والذي حياته في طاعة ربه لا تهمه المظاهر الدنيوية، وقد استوى عنده الغنى والفقر، والمنع والعطاء ﴿بَقِيَّتُ اللَّهِ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾[2].

٤ـ الفقر الذي ورد في الآيات والأحاديث وهو الافتقار إلى الله، وهو الشعور بعدم تملك شيء مع الله، وحقيقة الفقر كما قال الشبلي: «ألا يستغني المرء بشيء عن الله، وكمال الإيمان أن تعلم أن الله هو مالك كل

---

(١) سورة الحديد: ٢٣.

(٢) سورة هود: ٨٦.

شيء وأنت مستخلف على ما في يديك لتسخرها في رضاء الله».

ولا يتعارض هذا مع قوله تعالى: ﴿ وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْـَٔاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ ﴾[1] وهذا هو تفسير الزهد أن يسخر ما آتاه الله في رضاء الله وتحقيق الثواب الكبير في الدار الآخرة. وقد وجه القرآن المسلم الذي طغت روحه في السمو والصفاء إلى الاهتمام الظاهري في الدنيا؛ لأنها من الضروريات المتممة لحياة المسلم في الدنيا، ولكن القلب متعلق بالخالق العظيم لا يأنس إلا بالله ولا يرضى إلا برضاه ولا يحزن إلا إذا ضاعت منه طاعة أو قصر في عبادة.

والزهد نوعان: زهد ظاهري ويكون بارتداء اللباس البسيط الذي يظهر الفقر والضعف، وهذا ليس من الإسلام في شيء، وإنما على المسلم أن يظهر نعمة الله عليه وإن كان فقيراً فيرضى بما قسم له ولا يتطاول إلى ما في أيدي الناس.

والزهد الحقيقي ومكانه القلب، ولو أوتي ملك سليمان، أو مال قارون، وفي هذه الحالة يستوي عنده المنع والعطاء بل يترقى الزاهد إلى مقام الرضى في المنع والعطاء. ويكون شاكراً لله تعالى في كلا الحالتين.

فالعطاء عنده يستوجب الشكر، والمنع عطاء، وذلك لأنه وصل إلى حالة من الاستقرار الروحي والشعور الكامن بأنه في دار رحيل وليس في دار قرار، وأنه في حالة ابتلاء واختبار فأنى له الاعتراض على أمر مولاه.

والزهد في رأي الشبلي نوع من الغفلة لأنه يرى الدنيا عدماً ولو بعد حين، والزهد في اللاشيء غفلة. وهذا رد على من يناقش موضوع الزهد الدنيوي. فالمؤمن هو الذي عالج نفسه من أمراضها؛ ومن أشد أمراضها

---

(١) سورة القصص: ٧٧.

الحرص والطمع، فهو الذي يتسامى عن التعلق بالدنيا والحرص عليها، والطمع فيها، وإنما يريدها ليستخدمها، لا ليتعلق بها ويصارع الناس من أجلها.

والزهد في رأي العارف بالله الشيخ أحمد كفتارو هو عمل من أعمال القلب، لأن الإسلام في نظره لم يميز بين الدنيا والآخرة وإنما هما واحد لا يتجزأ، فالدنيا هي المرحلة الأولى والآخرة هي المتممة والمكملة لها؛ فكيف تنشغل بالوسيلة إذا أردت الغاية. والاهتمام بالدنيا يكون بقدر حاجة المرء ليصل إلى العبودية الكاملة في الآخرة، فإذا استطعت أن تستخدم الدنيا لرضاء الله في الآخرة فاستخدامك لها هو محض عبادة، وهل لك أن تترك العبادة ؟!

فتملك الدنيا يد المسلم لتعينه على تحقيق أوامر الشريعة، فالدنيا والآخرة شيء واحد بمرحلتين والغاية الكبرى تحقيق العبودية الخالصة.

وجاء في تذكرة الأولياء: (ليس الزهد في الدنيا ارتداء الخرقة وأكل خبز الشعير، ولكنه عدم تعلق القلب بالدنيا وتقصير الأمل).

والفقر الحقيقي لا يكون بفقدان المال بل يتحقق بفقدان الميل والرغبة في الغنى؛ فالفقير الذي يرغب في الدنيا ويميل إليها هو زاهد في الآخرة ولم يتملك قلبه الغاية الكبرى فانغمس في رغباته، ومال مع أهوائه، وإنما الزاهد العارف هو الذي زهد في الدنيا قلبه، وملكها في يده، ومنعها من التطاول إلى نفسه.

فالزاهد هو الذي إن ملك فينسب الملك لله، وإن أحسن فيحمد الله، وإن مدحه الناس لم يكترث بمدحهم، وإن أحواله ومقاماته وجميع أعماله لا يملكها وإنما يملكها الله، وهي مرحلة الشعور بالفناء والإفناء لإرادة الإنسان المسلم أمام إرادة الله عز وجل، وهنا تتحقق عنده الإرادة في الميل

إلى أوامر الله عز وجل والقدرة على تنفيذها والسهولة في تحقيقها.

وقال سهل في حق الفقراء والزهاد: «حرام أن يسمى أصحابنا بالفقراء لأنهم أغنى خلق الله، فغناهم في قلوبهم، وهم يملكون مفاتيح كنوز الله عز وجل»[1].

ومن لوازم الزهد الصبر ونتيجته التوكل ﴿ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾[2].

والزهد يحملك في أعماق نفسك على الصبر على رغبات النفس الصادرة عن الهوى فيما كان الحق قد نهاك عن إتيانه.

لم ترد كلمة الزهد ولا مرة واحدة في القرآن. وأنكر النَّبي ﷺ على عبد الله بن عمرو بن العاص التزامه قيام الليل وصيام النهار واجتناب النساء وقال له: «أرغبت عن سنتي» ؟ فقال: بل سنتك أبقى، فقال: «فإني أصوم وأفطر، وأصلي وأنام، وأنكح النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني»[3].

وهذا يدعونا إلى حوار مع فكرة الزهد التي أدخلت على الإسلام بشكلها الظاهري المحض، وهي ترك الدنيا بما فيها، وهي بهذا المفهوم أداة لتحطيم الحضارة وإضعاف المسلمين، ويستتبع ذلك انتصار أعدائهم عليهم، ولذا ركّزنا على فكرة الزهد الروحي فقط، وهي معالجة النفس لتزهد بالدنيا وهي تملكها لتسخرها في طاعة الله وإقامة شريعة الله وإتمام الحضارة الإسلامية المادية والروحية المتكاملة.

---

(١) كتاب سهل التستري للدكتور عبد الحليم محمود، ص ٤٥.
(٢) سورة النحل: ٤٢.
(٣) متفق عليه.

فمن قال بالزهد المادي فهو مردود عليه بالآيات والأحاديث ﴿ وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْـَٔاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ﴾[1].

ويقول الإمام أحمد: الزهد ثلاثة أوجه: ترك الحرام وهو زهد العوام؛ ثم ترك الفضول من الحلال وهو زهد الخواص؛ ثم ترك كل ما يشغل العبد عن الله وهو زهد العارفين، وباب الزهد القنوع.

وفي معرض ذكر الآيات التي تناقش الحياة الدنيا نجد في الآية: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا وَرَضُوا۟ بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَٱطْمَأَنُّوا۟ بِهَا وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنْ ءَايَٰتِنَا غَٰفِلُونَ ۝٧ أُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴾[2]، فكلمة رضوا بالحياة الدنيا وهي ميل نفسي تمت به عملية الرضى ثم تلتها النتيجة، ومن آثارها الطمأنينة بها، ثم عكسه الغفلة عن آيات الله فأعطت كسباً أودى بصاحبه إلى النار، ولم يذكر ملك الدنيا ولم يذكر الغنى والفقر المادي وإنما طرح موضوع الرضا بالحياة الدنيا والاطمئنان لها، وهي حالة نفسية، ولذا نجد في آيات كثيرة حواراً مع الحياة الدنيا وصداً عن آثارها النفسية ﴿ فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ۝٣٧ وَءَاثَرَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴾[3] فطغيانه نتيجة حتمية لأنه ملك الدنيا فآثرها على الآخرة، ولم يستخدمها في طاعة ربه. ثم نجد في آيات الاعتراض على الحالة النفسية عند المسلم المريض؛ إنكم عندما تملكون الدنيا لا تكرمون بها اليتيم، ولا تحاضون في استخدامها على إطعام المساكين، ثم إن حبكم للدنيا يجعلكم تأكلون التراث دون عدالة، وذلك لأنكم تحبون المال حباً جماً لذاته، ولو كان تملككم لهذا المال وسيلةً لأطعمتم اليتيم، وقمتم بالحض على إنفاق المال على المساكين، وعدلتم في الميراث، ولكن حبكم للمال حباً طاغياً

---

(١) سورة القصص: ٧٧.

(٢) سورة يونس: ٧ـ٨.

(٣) سورة النازعات: ٣٧ـ ٣٨.

أنساكم الشريعة وضاعت القيم الإسلامية التي يريدها الله أن تنساب في جوانبكم، ولذا فالزهد وهو الحالة الروحية، والخلق الإسلامي العميق، يغير النفس فتنطلق ضمن القيم ولا تتعداها إلى الظلم والجور.

ثم ذكر الله تعالى المؤمنين على سبيل المدح ﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ۩ ﴿١٥﴾ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾[1].

فلم يذكر زهدهم في الدنيا وإنما مدح آثار الإيمان ونتائجه، وتوازن النفس المؤمنة، بأنها لا تملك الرزق للاستكبار والتعالي، وإنما وسيلة للقربى إلى الله والإنفاق على النفس والأهل والناس دون أثرة أو أنانية، وإن مناقشة جولد زيهر في كتابه العقيدة والشريعة في الإسلام، في الزهد وآثاره في تحطيم المجتمع الإسلامي يدلنا على قصر النظر عن مفهوم الإسلام، فالإسلام لم يحض أتباعه على ترك الدنيا، وإنما يحض المسلمين على أمر واحد وهو جعلها وسيلة لا معبودة لكي ينفي عنهم التنافس الذي يؤدي إلى البغضاء والحقد والتشاحن والاحتكار والاستغلال والربا.

ولذا نجد العلماء ناقشوا موضوع الزهد بأساليب شتى فقال الحسن البصري: «الدنيا دار عمل من صحبها بالبغض لها والزهد فيها سعد بها ونفعته صحبتها، ومن صحبها برغبة ومحبة شقي بها، وأسلمته إلى ما لا صبر عليه»[2].

وقال صالح المري: «كما لا تنظر الأبصار الضعيفة إلى شعاع الشمس، كذلك لا تنظر قلوب محبي الدنيا إلى نور الحكمة»[3].

---

(١) سورة السجدة: ١٥ـ١٦.
(٢) الرسالة القشيرية: ٩٥.
(٣) الرسالة القشيرية: ٩٥.

وقال يوسف بن علي في رواية السلمي: «لا يكون العارف عارفاً حقاً، حتى لو أعطي مثل ملك سليمان عليه السلام، لم يشغله عن الله عز وجل طرفة عين»[1].

* * *

(١) الرسالة القشيرية: ٩٦.

محبة الله في القرآن

محبة الله في القرآن

المحبة هي الميل وتأتي بعد المعرفة، فإذا عرف المسلم ربه وفكر في آلائه ونعمه أحبه، قال تعالى: ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾[1] فإن أحب العبد ربه خلعت منه الصفات الوضيعة وألبس رداء الكمال، وذلك عندما رسم طريق المحبين بقوله: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾[2] ويكون القرآن قد وضع منهج المحبين بالاتباع الكامل لسنة النبي عليه الصلاة والسلام؛ ثم أكد هذا الأمر: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾[3] لأن المحبة حالة طبيعية في الإنسان ولا يمكن تجاهلها، والحب مراتب والمؤمنون أشد حبهم يكون لله عز وجل.

وجاء القرآن بالوعيد لمن أحب مع الله غير الله بمرتبة واحدة، قال تعالى: ﴿قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾[4].

---

(١) سورة المائدة: ٥٤.
(٢) سورة آل عمران: ٣١.
(٣) سورة البقرة: ١٦٥.
(٤) سورة التوبة: ٢٤.

فتربصوا، وعيد من الله تعالى وإنذار لمن ضعفت محبته وتساوت عنده محبة الله مع محبة خلقه، فالحب في القرآن دعوة صريحة، ونداء سرمدي، وأمر إلهي ليصبح القلب محباً لله تعالى.

فالحب الإلهي بما فيه من تجليات وأنس وذكر وسعادة هو الوقود المستمر للإيمان، والنبراس المشتعل للنفس لتزداد قرباً وإنابة وخيراً.

قال ذو النون: «إن لله عباداً ملأ قلوبهم من صفاء محبته، وأنار أرواحهم بالشوق إلى رؤيته، فسبحان من شوقهم إليه وأدنى منه همهم، سبحان موفقهم ومؤنس وحشتهم». ويقول ابن القيم: «إن صفات الله ونعوت كماله، وحقائق أسمائه هي التي تجذب القلوب إلى محبته وطلب الوصول إليه، لأن القلوب إنما تحب من تعرفه وتخافه، وترجوه وتشتاق إليه، وتلتذ بقربه وتطمئن إلى ذكره بحسب معرفتها بصفاته، ومن معرفة صفات الله ومحبتها تأتي علوم الكشف والفيض»[1].

والحب في الإسلام مجرد، ومنزه ومبرأ، حب مقدس لله عز وجل، يسمو بصاحبه إلى أعلى المقامات، وينتهي به إلى اليقين والفيض والكشف.

وكان رسول الله ﷺ يعلمنا هذا الدعاء: «وأسألك حبك، وحب من يحبك، وحب عمل يقربني إلى حبك»[2].

وكان يدعو دائماً: «وأسألك لذة النظر إلى وجهك، والشوق إلى لقائك»[3].

ويقول الإمام ابن القيم في كتابه طريق الهجرتين:

«وهي ـ أي المحبة ـ عقد الإيمان الذي لا يدخل فيه الداخل إلا بها، ولا

---

(١) مدارج السالكين: ج ٣، ص ٢٢٤.
(٢) رواه البخاري.
(٣) رواه أحمد وابن حبان والحاكم.

فلاح للعبد ولا نجاة له من عذاب الله إلا بها، فليشتغل بها العبد أو يعرض عنها، ومن لم يتحقق بها علماً وحالاً وعملاً لم يتحقق بشهادة أن لا إله إلا الله، فإنها سرها وحقيقتها ومعناها.

وإن أبى ذلك الجاحدون، وقصر عن علمه الجاهلون، فإن الله هو الحبيب المعبود، الذي تألهت القلوب بحبه، وتدعوه في مهماتها، وتتوكل عليه في مصالحها، وتلجأ إليه وتطمئن بذكره، وتسكن إلى حبه، وليس ذلك إلا لله وحده.

فهذه المسألة قطب رحى الدين الذي عليه مداره، وإذا صحت صح بها كل مسألة وحال وذوق، وإذا لم يصححها العبد فالفساد لازم له في علومه وأعماله وأحواله وأقواله، ويستطرد قائلاً: والمقصود من الخلق والأمر إنما هو هذه المحبة، وهي أول دعوة الرسل وآخر كلام العبد المؤمن الذي إذا مات عليها دخل الجنة، اعترافه وإقراره بهذه المحبة وإفراد الرب بها».

وفيما رواه البخاري، قال رسول الله ﷺ: «ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان: من كان الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، ومن أحب عبداً لا يحبه إلا لله، ومن يكره أن يعود في الكفر بعد إذ أنقذه الله منه كما يكره أن يلقى في النار».

وهنا نجد في هذا الحديث درجات المحبة لله ولرسوله؛ ونتائجها وآثارها، فلن يصل إلى حلاوة الإيمان إلاّ بها، وهذه دعوة صريحة واضحة لمعرفة الأسباب التي تؤدي بصاحبها إلى تمام المحبة.

وكان دعاء الرسول ﷺ: «اللهم اجعل حبك أحب إلي من نفسي وسمعي وبصري وأهلي ومالي ومن الماء البارد» ونجد الرسول ﷺ يدعو ليحصل على كمال المحبة بكل وجوهها ومباعثها، وليملك محبة القلب والروح والنفس والعقل والوجدان. قال أبو الحسن الوراق: «السرور بالله

من شدة المحبة له، والمحبة في القلب نار تحرق كل دنس».

ومن ثمرات المحبة الطاعة، قال بعض العارفين: من ادعى محبة الله من غير ورع عن محارمه فهو كذاب، ومن ادعى محبة الجنة من غير إنفاق فهو كذاب، ومن ادعى محبة رسول الله ﷺ من غير حب الفقراء فهو كذاب. وقالت رابعة تنشد:

تعصي الإلـه وأنـت تظهـر حبـه ... هـذا لعمـري في الفعـال بـديـع
لـو كـان حبـك صـادقـاً لأطعتـه ... إن المحـب لمـن يحـب مطيـع

والمحبة ظاهرها اتباع أوامر المحبوب، وحقيقتها الفناء بالمحبة؛ وهي إفناء الإرادات في إرادة المحبوب، وإفناء الرغبات والأهواء في مطالب من تحب، والمحبة درجات؛ محبة متولدة من النظر إلى إحسان المنعم وعطفه ورحمته، وهنا نجد حديث رسول الله ﷺ: «جبلت القلوب على حب من أحسن إليها، وبغض من أساء إليها».

والدرجة الثانية؛ وهي نظر العبد إلى غِنى ربه وجلاله وعظمته وعلمه وقدرته، وهو حب الصادقين، وهذا ما قال عنه إبراهيم الخواص عندما سئل عن المحبة فقال: محو الإرادات واحتراق جميع الصفات والحاجات.

سئل أبو سعيد الخراز رحمه الله عن المحبة فقال: (طوبى لمن شرب كأساً من محبته، وذاق نعيماً من مناجاة الجليل وقربه، بما وجد من اللذات بحبه فملأ قلبه حباً، وطار طرباً، وهام إليه اشتياقاً)[1].

والدرجة الثالثة وهي محبة الصديقين والعارفين؛ وهي المحبة الكاملة لله عز وجل لذاته، قال أبو يعقوب السوسي رحمه الله تعالى: لا تصح المحبة حتى يخرج من رؤية المحبة إلى رؤية المحبوب بغناء علم المحبة من حيث كان

---

(١) دراسات التصوف الإسلامي ص ٢٢٠.

له المحبوب في الغيب، وهذه درجة القرب. وذكرها الجنيد فقال: دخول صفات المحبوب تشبهاً في صفات المحب، وهذا معنى قوله تعالى في الحديث القدسي: «. . . حتى أحبه، فإذا أحببته كنت عينه التي يبصر بها، وسمعه الذي يسمع به، ويده التي يبطش بها، . . .»[1].

فالحب المتفرد لله بالقلب والروح تفانياً وانقياداً واتباعاً يصقل بنوره حب الطبع وأهواء الغريزة، وعقبات النفس، حتى يصل إلى درجة أن يكون هواه تبعاً لهوى حبيبه، وإرادته طبق إرادة حبيبه، وبذا يصبح عبداً حقيقياً طاهر القلب، قوي الإرادة، متوازن الحس.

والحب هو بداية طريق العابدين والسالكين والمقربين، فمن صحت محبته تكملت أحواله ومقاماته.

قالت رابعة العدوية: محب الله لا يسكن حنينه وأنينه حتى يقرب من حبيبه. وقيل: المحبة بذل المجهود وترك الاعتراض على المحبوب.

والمحبة توصل صاحبها إلى الشوق، ثم إلى الفناء. قال صاحب إيقاظ الهمم: الفناء هو أن تبدو لك العظمة فتنسيك كل شيء غيرها.

فالمحبة شيء أجمع عليه الفقهاء والمحدثون والصوفيون والسلفيون، وهذه أقوال ابن تيمية في المحبة، وقد خصص باباً في كتابه العبودية وسماه مراتب الحب.

قال[2]. : فإن آخر مراتب الحب هو التتيم، وأوله العلاقة، لتعلق القلب بالمحبوب، ثم الصبابة، لانصباب القلب إليه، ثم الغرام وهو الحب

---

(١) متفق عليه.

(٢) العبودية لابن تيمية ص ١٤٤.

الملازم للقلب، ثم العشق، وآخرها التتيم. يقال: تيم الله، أي عبد الله، فالتيم المعبَّد لمحبوبه.

وقال ابن تيمية في الفناء[1]. :

الفناء ثلاثة أنواع:

نوع للكاملين من الأنبياء والأولياء.

ونوع للقاصدين من الأولياء والصالحين.

ونوع للمنافقين الملحدين المشتبهين.

فأما الأول: فهو الفناء عن إرادة ما سوى الله، بحيث لا يحب إلا الله، ولا يعبد إلا إياه، ولا يتوكل إلا عليه، ولا يطلب من غيره، وهو المعنى الذي يجب أن يقصد بقول الشيخ أبي يزيد البسطامي، حيث قال: أريد أن لا أريد إلا ما يريد، أي المراد المحبوب المرضي، وهو المراد بالإرادة الدينية، وكمال العبد أن لا يريد ولا يحب ولا يرضى إلا ما أراده الله ورضيه وأحبه.

وأما النوع الثاني: فهو الفناء عن شهود السِّوىٰ، وهذا ما يحصل للكثير من السالكين، فإنهم لفرط انجذاب قلوبهم إلى ذكر الله وعبادته ومحبته، وضعف قلوبهم عن أن تشهد غير ما تعبد، وترى غير ما تقصد، ولا يخطر بقلوبهم غير الله، ولا يشعرون بغيره، كما قيل في قوله تعالى: ﴿وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَٰرِغًا إِن كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِۦ لَوْلَآ أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا﴾[2]. قالوا: فارغاً من كل شيء إلا من ذكر موسى، وهذا كثيراً ما يعرض لمن دهمه أمر من الأمور، من حب، أو خوف، أو رجاء، فيبقى قلبه منصرفاً عن كل شيء

---

(١) العبودية لابن تيمية ص ١٤٤.

(٢) سورة القصص: ١٠.

إلا عما قد أحبه أو خافه أو طلبه بحيث يكون عند استغراقه في ذلك لا يشعر بغيره.

فإذا قوي على صاحب الفناء هذا، فإنه يغيب بموجوده عن وجوده، وبمشهوده عن شهوده، وبمذكوره عن ذكره، وبمعروفه عن معرفته، حتى يفنى من لم يكن وهي المخلوقات. وقال كلاماً كثيراً حتى وصل إلى قوله:

والجنيد وأمثاله ممن كانت عقولهم وتمييزهم يصحبهم في أحوالهم، فلا يقعون في مثل هذا الفناء والسكر ونحوه، بل الكمل تكون قلوبهم ليس فيها سوى محبة الله وإرادته وعبادته، وعندهم من سعة العلم والتمييز ما يشهدون الأمور على ما هي عليه، ثم وقع واعترف وقال[1]: ونبينا ﷺ إمام هؤلاء وأكملهم، ولهذا لما عرج به إلى السموات وعاين ما هنالك من الآيات، وأوحى إليه ما أوحى من أنواع المناجاة، أصبح فيهم وهو لم يتغير حاله، ولا ظهر عليه ذلك، بخلاف ما كان يظهر على موسى من التغشي صلى الله عليهم وسلم أجمعين.

وأما النوع الثالث: مما قد يسمى فناء، وهو أن يشهد أن لا موجود إلا الله، وأن وجود الخالق هو وجود المخلوق، فلا فرق بين الرب والعبد، فهذا فناء أهل الضلال والإلحاد، الواقعين في الحلول والاتحاد. ثم حلل تحليلاً رائعاً قولهم مجازاً: وهذا يبرأ منه المشايخ إذ قال أحدهم: ما أرى غير الله، أو لا أنظر إلى غير الله، ونحو ذلك، فمرادهم بذلك ما أرى رباً غيره، ولا خالقاً ولا مدبراً غيره، ولا إلهاً لي غيره.

إن حالة الفناء هي المرحلة التي تنكشف فيها للمحب تجليات الله عز وجل وأنواره فيشاهد النور الإلهي ويكون معه الفناء، ولا يشعر إلا بالله،

---

(١) العبودية: ص ١٥٠.

وتضمحل عنده الماديات وتزول الأشباح، ويطمئن قلبه ويسكن فؤاده، ويسبح في بحر من النور لا يرى إلا الله وحده، وفي هذه الأحوال والمقامات تكلم منهم من تكلم، وباح بسره وضاع في مشاهداته، ونطق كلاماً، وحدث بأحاديث ظن الكثير من الفقهاء أنه وحدة الوجود وحلول واتحاد، وهنا لا نجد لهؤلاء المتكلمين في هذا الباب مخرجاً إلا التأويل، وإذا لم يكن تأويلاً ضمن الكتاب والسنة، كان مردوداً. وقال سماحة الشيخ أحمد كفتارو: ولسنا ملزمين بأقوالهم، ولا يتحتم علينا الرد عليهم إن خالفوا القرآن والسنة، فأصولنا من كتاب الله، وكل حال أو مقام خالف الكتاب والسنة ولم نستطع تأويله فهو مردود على صاحبه، وكل رأي يقبل ويرفض إلا ما كان في كتاب الله عز وجل أو سنة رسوله ﷺ.

والمحبة باب السعادة، ولا يصل المسلم إلى كمال محبته إلا إذا عرف كمال محبوبه وجماله، إذ من لا يعرف لا يحب. فالمحبة ثمرة المعرفة، والمعرفة علة المحبة وسببها، وتكون المعرفة في بداية الأمر عن طريق النظر والاستدلال بالعظمة الإلهية عن طريق مخلوقاته، وإدامة الفكرة في بدائع خلق الله وآثار عجائب صنعه، لتدل على كمال صانعها وجماله وبهائه وعظمته وجلاله، ومن هنا تنقدح المحبة، ويزداد الشوق، وتتراءى أمام المدقق عظمة المخلوقات التي تبهر النفس لترى عظمة الخالق، وتشرق الأنوار في جنبات النفس فتتبدى راكعة ساجدة.

والإنسان لا يحب محبوباً إلا بعد العلم بكمال ذات ذلك المحبوب.

فهي بداية المقامات والأحوال ونهايتها والمحبة أن تهب كليتك لمحبوبك فلا يبقى لك منك شيء.

وقيل: المحبة معنى من المحبوب قاهر للقلب، تعجز العقول عن إدراكه، وتمتنع الألسنة عن العبارة عنه.

وقيل: المحبة أغصان تغرس في القلب فتثمر على قدر العقول.

والمحبة حقيقة لا يستطيع التعبير عنها إلا من ذاقها، ومن ذاقها استولى عليه شيء من الذهول.

ومن أحب شيئاً أكثر من ذكره والمحب إذا صمت هلك، والعارف إذا نطق احترق.

والمحبة أثرها عجيب، فيها صفاء النفس ورقة الطبع، وعلو الهمة، وصفاء الذهن، وهي التي تفتح على النفوس أبواب الفضائل، وتبلغ بالإنسان باب السعادة.

والحب يصل بصاحبه إلى الفناء وهو فناء عن صفة النفس أو أنه سقوط الأوصاف المذمومة، فمن فني عن صفاته المذمومة ظهرت فيه الصفات المحمودة، وقيل: فناء الإنسان عن إرادته وبقاؤه بإرادة ربه.

الحب طريق لا غنى عنه لكل مؤمن، وهو الوسيلة التي تعين المسلم للوصول إلى أعلى درجات الكمال، وبالمحبة يكتسب الصفات الحميدة، ويتخلى عن الصفات الذميمة.

قال رسول الله ﷺ عن أبي بكر: «لم يسبقكم أبو بكر لا بكثرة صلاة، ولا بكثرة صيام، وإنما سبقكم بشيء وقر في قلبه حب الله ورسوله»، وقال الرسول عليه الصلاة والسلام لعمر: «كيف أصبح حبك لي يا عمر» ؟ قال: أصبحت أحب إلي من مالي وولدي ونفسي التي بين جنبي، قال: «الآن يا عمر» وذلك بعد جدال وأسئلة بين النبي الكريم عليه الصلاة والسلام وبين عمر رضي الله عنه[1].

---

(١) الطريق إلى الله لمحمد أبو الفيض المنوفي.

ومن أحسن ما قيل في هذا المقام ما رواه أبو بكر الكتاني حيث قال: «جرت مسألة في المحبة ووصف المحب بمكة أيام الموسم، فتكلم الشيوخ فيها، وكان الجنيد أصغرهم سناً، فقالوا: هات ما عندك يا عراقي، فأطرق رأسه ودمعت عيناه ثم قال: المحب هو عبد ذاهب عن نفسه، متصل بذكر ربه، قائم بأداء حقوقه، ناظر إليه بقلبه، أحرقت قلبه أنوار هيبته، وصفا شرابه من كأس وده، وتكشف له الجبار من أستار غيبه، فإن تكلم فبالله، وإن نطق فعن الله، وإن تحرك فبأمر الله، وإن سكن فمع الله، فهو بالله ولله ومع الله. فبكى الشيوخ وقالوا: ما على هذا من مزيد، جزاك الله خيراً يا تاج العارفين»[1].

* * *

(١) التمكين في شرح منازل السالكين ص ٢٢٤.

الإخلاص

الإخلاص

الإخلاص مطلب ضروري لا غنى عنه في أي عمل أو دعوة أو عبادة، والقرآن حض على الإخلاص وذلك في مواضع شتى، وهذه الآيات التي بين أيدينا تدلنا على هذا الأمر بشكل واضح: ﴿أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ﴾[1]، وقال تعالى: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾[2].

وقال أيضاً: ﴿فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ الدِّينَ﴾[3].

وقال أيضاً: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ﴾[4].

وقال الرسول ﷺ لمعاذ عندما أرسله إلى اليمن، فقال: يارسول الله، أوصني، قال: «أخلص دينك يكفك العمل القليل»[5].

وقال تعالى في الحديث القدسي: «الإخلاص سر من أسراري استودعته قلب من أحببت من عبادي»[6].

---

(١) سورة الزمر: ٣.
(٢) سورة الكهف: ١١٠.
(٣) سورة الزمر: ٢.
(٤) سورة البينة: ٥.
(٥) رواه الحاكم.
(٦) الرسالة القشيرية: ص ١٦٢.

وقال الرسول ﷺ: «طوبى للمخلصين، أولئك مصابيح الهدى تنجلي عنهم كل فتنة ظلماء»[1].

وفي حديث عن رسول الله ﷺ قال: «إن الله تبارك وتعالى يقول: أنا خير شريك، فمن أشرك معي شريكاً فهو لشريكي، يا أيها الناس أخلصوا أعمالكم، فإن الله تبارك وتعالى لا يقبل من الأعمال إلا ما خلص له، ولا تقولوا هذه لله وللرحم فإنها للرحم وليس لله منها شيء، ولا تقولوا هذه لله ولوجوهكم فإنها لوجوهكم وليس لله منها شيء»[2].

الإخلاص قدرة نفسية، وحالة روحية يحصل عليها المؤمن بعد جهاد طويل وتزكية نفسية، وهو الغاية التي يجب أن يعمل لها كل من يرغب في الجنة ويخشى من النار، وكل عبادة وكل عمل صالح يخلو من الإخلاص فلا قيمة له، والعمل الذي يخلو من الإخلاص رياء ونتائجه هباء، والعالم الذي يعلم الناس ليقال عنه إنه عالم فهو مراءٍ، والمجاهد الذي جاهد ليقال عنه مجاهد فقد أضاع عمله، والمتصدق الذي أخرج ماله ليقال عنه كريم ويعمل الصالحات، فقد أضاع ماله، وهذا ما نجده في حديث عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن أول الناس يقضىٰ يوم القيامة عليه رجل استشهد فأتي به فعرفه نعمته فعرفها، قال: فما عملت فيها ؟ قال: قاتلت حتى استشهدت، قال: كذبت، ولكنك قاتلت لأن يقال: هو جريء، فقد قيل، ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار، ورجل تعلم العلم وعلمه، وقرأ القرآن فأتي به فعرفه نعمته فعرفها، قال: فما عملت فيها ؟ قال: تعلمت العلم وعلمته، وقرأت فيك القرآن، قال: كذبت، ولكنك تعلمت ليقال: عالم، وقرأت القرآن ليقال هو

---

(١) رواه البيهقي.

(٢) رواه البزار والبيهقي.

قارىء، فقد قيل، ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار، ورجل وسع الله عليه وأعطاه من أصناف المال، فأتي به فعرفه نعمته فعرفها، قال: فما عملت فيها ؟ قال: ما تركت من سبيل تحب أن ينفق فيها إلا أنفقت فيها لك، قال: كذبت، ولكنك فعلت ليقال هو جواد، فقد قيل، ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار»[1].

وعرف الإخلاص أبو طالب المكي فقال: (إخراج الخلق من معاملة الحق، وإخراج النفس من رؤية تلك المعاملة).

وهذا الإخلاص مرتبة عالية لا يصل إليها المؤمن إلا بعد أن يتخطى عقبات النفس ويدرك مراتب التوبة، ويعمل مجاهداً لنفسه، مخالفاً لهواه، وهي غاية العمل، ونهاية المطاف.

فإذا عمل المسلم، وقام بالصلاة والصيام والزكاة والحج، ولم يكن مخلصاً لله فكأنه لم يعمل شيئاً.

فكيف نحصل على درجة الإخلاص ؟ وما الطرق التي تؤدي إلى إخلاص العمل ؟

الإخلاص نتيجة المجاهدة للنفس، وعنوان المعرفة، وكمال المحبة.

فإذا عرفت الله حق المعرفة؛ وعلمت أن الدنيا فانية، وأن كل ما فيها لا يساوي عند الله جناح بعوضة، فلا يمكن أن تشرك مع الله أحداً.

والمؤمن يحصل على الإخلاص لإيمانه أن الله يعلم سره ونجواه، وهو مطلع على نواياه، فأنى له أن يشرك مع الله أحداً ؟.

ولا تحصل درجة الإخلاص إلا للعلماء العاملين العارفين، وكل من

---

(١) رواه مسلم والنسائي.

عرف الله من أعماق وجدانه وحصل على درجة الاستواء في العمل إن غاب الناس أم حضروا فهو مخلص.

ولابد للمؤمن من سلوك طريق المؤمنين الخاشعين، والنبيين والمتقين، وهي تزكية النفس، ومجاهدتها، بإكثار ذكر الله تعالى ومناجاة الله آناء الليل وأطراف النهار، والتواضع مع الانكسار لله ليصل إلى درجة الإخلاص.

فإذا حصل المؤمن على مقام الإحسان وعرف أن الله مطلع عليه فإنه قد حصل على درجة الإخلاص، ومن عاش بعيداً عن هذا المقام فلا يمكن إلا أن يشوب عبادته الرياء، ويكون مجانباً للإخلاص.

فيا أخي المؤمن، كن مؤمناً، وتدرج في مقامات الإيمان لتصل إلى مقام الإحسان وتُبْ إلى الله وأخلص النية في الوصول إلى هذه الدرجة، فإنك ستصل وإن صدقت الله صدقك الله.

حاسب نفسك على كل ما تعمله، وتجد نفسك قد حصلت على الإخلاص.

قال الشيخ النهرجوري: (من علامة من تولاه الله في أحواله أن يشهد التقصير في أفكاره واستذكاره؛ والضعف في صدقه، فتكون جميع أحواله عنده غير مرضية له، فيزداد بذلك فقراً إلى الله وانكساراً له، وإن كثرت أعماله)[1].

وهذه المعاني تتجلى في قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ﴾[2]، وفسر النَّبي ﷺ ذلك بقوله: «هو أن الرجل يصوم ويصلي ويتصدق ويخاف ألا يقبل منه».

---

(١) التمكين في شرح منازل السالكين: ص ٨٩.
(٢) سورة المؤمنون: ٦٠.

الإرادة في التربية الروحية
مكانتها في تكوين المسلم

الإرادة في التربية الروحية
مكانتها في تكوين المسلم

الإرادة:

تعريفها اصطلاحاً:

الإرادة عند الصوفيين اسم لأول منازل القاصدين إلى الله تعالى، والمريد هو الذي خرج من مواطن طبعه ونفسه، وأخذ في السفر إلى الله، وهو القاصد.

وقال ابن خفيف: (الإرادة سمو القلب لطلب المراد، وحقيقة الإرادة في الطريق استدامة الجد وترك الراحة).

وقال القشيري: (الإرادة بدء طريق السالكين) لأن طريقتنا إرادة، فرياضة، فجلادة، فتشبه، فانطباع، فسعادة.

الإرادة هي القدرة الفاعلة، وبها تنتقل المعرفة إلى عمل وسلوك والتزام، وتكون بعد الرياضات الروحية والمجاهدة، فتتم بعدها المكابدة ثم المشاهدة، فتملك النفس قدرتها لعمل ما تؤمن به وتعتقده، فلا تركن النفس إلى الراحة والكسل. والمريد هو الذي ينخلع عن نفسه الأمارة بالسوء، ويبدأ بعزيمة ثابتة ورغبة داخلية ملحة لانتهاج الطريق الذي يؤدي إلى تقوية

إرادته ليتابع طريق الحق، وليشعر بالتكامل والتوازن والإيجابية والواقعية في تصوره لعقيدته. وبدون الإرادة تتشكل الأمراض النفسية، والعقد الاجتماعية، والصدام بين الفكرة والواقع، والصراع بين العقيدة والعمل، فيشعر المسلم بعدم قدرته على الاستمرار فيما يعتقد، فيؤدي به إلى الانتكاس والرجوع والانحلال لعدم توافر الإرادة القوية، التي تستطيع التسامي به أمام التيارات الجامحة لهدم عوامل العقيدة والتوازن في نفسه.

فالإرادة نتيجة حتمية تحصل بعد الإيمان، ويزداد هذا الإيمان النظري الفكري بالمحبة والخوف. يقول ابن تيمية:

(ومعلوم أن الحب يحرك إرادة القلب، فكلما قويت المحبة في القلب طلب القلب فعل المحبوبات، فإذا كانت المحبة تامة استلزمت إرادة جازمة في حصول المحبوبات)[1].

قال الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾[2].

فالمجاهدة للنفس هي نتيجة الصراع بين الفكرة والعقيدة، وبين الواقع والنفس الأمارة بالسوء. قال أحد العارفين: النفس تنظر إلى الدنيا، والروح تنظر إلى العقبى، والمعرفة تنظر إلى المولى، فمن غلبت نفسه عليه فهو من الهالكين، ومن غلبت روحه عليه فهو من المجتهدين، ومن غلبت معرفته عليه فهو من المتقين، وفي ذلك يقول الله تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ﴾[3].

---

(١) العبودية لابن تيمية ص ١٠٦.
(٢) سورة العنكبوت: ٦٩.
(٣) سورة النازعات: ٤٠-٤١.

وقيل: متى يبلغ الرجل مقام الرجال في هذا الأمر ؟! أي الإرادة، قال: إذا عرف عيوب نفسه، وقويت همته عليها.

فالمؤمن يريد أموراً تطالب بها نفسه، والله يريد منه تحقيق التقوى، فالعزيمة تحرك دواعي الإرادة، فإذا وصل المؤمن إلى أن يحصل على درجة المريد بدأ سلوكه بالتزكية لنفسه؛ وهي تخليتها من رذائلها، ولا تتحقق إلا بالمخالفة والمجاهدة والافتقار والتضرع والتذلل والانكسار، ولا يتم ذلك إلا بالذكر القلبي الدائم والواعي، فعندها يبدأ بباب الصدق في الطلب، والإخلاص في تحقيق مراد الله، فالنفس أمارة بالسوء، والمخلص الصادق يخالفها. وبذكر خالقها تضعف أمام نور الله الذي يقذف في القلب فتقوى إرادة المخلص، ومن هنا تكون البداية، ويسترسل في المجاهدة والمجالدة والتقرب إلى الله بالنوافل حتى يحبه الله، ويكون على كره من النفس، ويصل إلى درجة الاطمئنان، والنفس المطمئنة هي المرحلة التي تلقي عصا الصراع أمام طغيان العزيمة الصادقة فيصل إلى الإرادة الكلية.

وبم تقوى الإرادة ؟

١ـ العزلة في بداية الأمر وهي كالحمية للمريض حتى يشفى. وهل هناك مرض أقوى من مرض ضعف الإرادة ؟ فبالعزلة تقوى الروح، فتستطيع التصدي للنفس الأمارة بالسوء، وبالعزلة تتم المخالفة للهوى، وما عزلة الرسول ﷺ في الغار إلا ليملك إرادة قوية في تحمل القول الثقيل.

٢ـ الجوع والصمت والسهر فالصوم وجاء، وبالصمت تقدح الفكرة من الداخل وتقوى العزيمة في الباطن، وفي مكابدة السهر يكثر التهجد وقيام الليل، وفي ذلك تمرين مستمر للإرادة حتى تتملك جوانب النفس حقيقة المعرفة، ولتحولها إلى التزام سلوكي مستمر.

٣ـ الذكر والتسبيح والتفكر وسائل تهيىء المؤمن لمجالسة الله عز وجل، وإذا تمت المجالسة مع الذكر والفكر والتسبيح قويت عنده إرادة التقرب من الله تعالى، وازدادت هيبته في النفس، وتعمقت الخشية منه، وأضفى الله الجلال والكبرياء على الروح، فينطلق السالك بقوة لتمثل مراد الله فيه، وبهذا تقوى إرادة المؤمن على تكميل ما نقص، وتحويل العمل إلى إخلاص وصدق في الطلب.

٤ـ الحصول على القلب السليم؛ ولا يكون إلا بالطاعة الصادقة، والإنابة المخلصة، والتوبة إثر التوبة، والاستغفار والندم، والإقلاع عن الخطيئة. كل هذا يزيد المؤمن إرادة في سلوك طريق الحق.

وقيل: عجبت لمن عرف الله كيف لا يعبده ويخضع نفسه لحكمه.

٥ـ المحبة لله تعالى ولرسوله الأمين، وللعلماء المربين المخلصين العاملين، فالمحبة قوة روحية تجذب النفس للاقتداء بالمحبوب، ولذا فالحب في الله هو أسهل طرق المجاهدة، وكان من دعاء الرسول ﷺ: «اللهم ارزقني حبك، وحب من يحبك، وحب عمل صالح يقربني إلى حبك».

فالمحب مطيع لمحبوبه، والمحب مريد لمراد محبوبه.

١ـ تعصي الإله وأنت تظهر حبه هذا لعمري في القياس بديع
٢ـ لو كان حبك صادقاً لأطعته إن المحب لمن يحب مطيع

٦ـ الخوف من الله ومن عقوبته. وفي الأثر: رأس الحكمة مخافة الله. وقال ذو النون: (لا يسقى المحب من كأس المحبة رشفة، إلا بعد أن يُنْضِجَ الخوف قلبه).

وقال الخواص: (الورع دليل الخوف، والخوف دليل المعرفة، والمعرفة

دليل القرب) ﴿ذَٰلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ﴾[1].

وقال ذو النون يصف مراحل الإرادة: «إن المؤمن إذا آمن بالله واستحكم إيمانه خاف الله تعالى، فإذا خاف الله تولدت من الخوف الهيبة، فإذا سكنت غلبة الهيبة دامت طاعته لربه، فإذا أطاع تولد من الطاعة الرجاء، فإذا سكنت درجة الرجاء في القلب تولدت من الرجاء المحبة، فإذا استحكمت معاني المحبة في قلب سكن بعدها مقام الشوق، فإذا اشتاق أداه الشوق إلى الأنس بالله، فإذا أنس بالله اطمأن إلى الله، وبذا تقوى إرادته».

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من خاف أدلج، ومن أدلج بلغ المنزل، ألا إن سلعة الله غالية، ألا إن سلعة الله الجنة»[2].

وعن أبي ذر قال: قال رسول الله ﷺ: «إني لأرى ما لا ترون، وأسمع ما لا تسمعون، أطَّت السماء وحق لها أن تئط، والذي نفسي بيده ما فيها موضع أربع أصابع إلا وملك واضع جبهته ساجداً لله، لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً، وما تلذذتم بالنساء على الفرشات، ولخرجتم إلى الصعدات تجأرون إلى الله»[3] قال أبو ذر: يا ليتني كنت شجرة تعضد.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «ثلاث منجيات، وثلاث مهلكات؛ فأما المنجيات: فتقوى الله في السر والعلانية، والقول بالحق في الرضا والسخط، والقصد في الغنى والفقر، وأما المهلكات: فهوى متبع، وشح مطاع، وإعجاب المرء بنفسه، وهي أشدهن»[4].

---

(١) سورة إبراهيم: ١٤.
(٢) رواه الترمذي.
(٣) رواه أحمد والترمذي وابن ماجه.
(٤) رواه البيهقي في شعب الإيمان.

والإرادة وسيلة بها يصل المؤمن إلى درجة العابد، ويرتقي إلى درجة العارف.

الإرادة نتاج التربية الروحية المتكاملة، وتظهر جلية في سلوك المسلم الذي شع الإيمان في سلوكه، فهو شديد الخشية من اقتراف المعصية، ويحاسب نفسه على الصغيرة والكبير، وإذا طلب منه أمر جلل لم يتوقف عن أدائه مادام فيه رضاء الله تعالى. وتتمثل الإرادة عند المسلم في البعد الكامل عن الغيبة والنميمة، فإذا تكلم في أعراض الناس وتوغل في سقطاتهم فهو ضعيف الإرادة أمام أوامر الله التي تمنع المؤمن من التردي في مستنقع مُخِلٍّ لحوم البشر، وما أكثر هؤلاء في عصرنا وخاصة أدعياء الإسلام! ومن لا إرادة له لا شخصية له، ومن لا إرادة له لا عظمة له، ومن لا إرادة له لا يمكن أن يتخطى طريق المجاهدة إلى كمال الإخلاص.

والإرادة هي انبعاث في القلب بنور يوجهه الله إليه من طريق الإلهام، وبعد العزم وصدق القصد في الطلب، ودوام المجاهدة واستمرار مخالفة النفس الأمارة بالسوء، كل هذا يولد إرادة المؤمن التي تصل به إلى حال العبودية بالامتثال للأوامر والانتهاء عن النواهي، فيصل إلى درجة يصورها قول الشاعر ابن الفارض:

أنتم فروضي ونفلي ... أنتم حديثي وشغلي
يا قبلتي في صلاتي ... إذا وقفت أصلي
جمالكم نصب عيني ... إليه وجهت كلي
وسركم في ضميري ... والقلب طور التجلي

وبهذا تتوحد الإرادة مع المراد وهو الشرع، وتتجلى المعاني القدسية على ساحة السلوك بسهولة ورقة، وتتعطل إرادة المؤمن أمام مراد الله، وتصبح إرادته من إرادة الشرع، وهواه تبعاً لما جاء به الرسول ﷺ، وفي هذا بداية طريق العرفان والعروج الروحي في طريق السالكين المخلصين.

حوار مع السلفيين المعاصرين

حوار مع السلفيين المعاصرين

في عصرنا ظهر عبد الرحمن الوكيل، وعبد الرحمن عبد الخالق، وكلاهما من السلفيين الحاقدين على التصوف بشكل لا يقل عن عداء ظاهر مستحكم. وابن تيمية على رغم كونه من مؤسسي الحركة السلفية، كان معتدلاً في أحكامه فقد قال: تصوف شرعي وتصوف بدعي، أما هما فيعممان الأحكام على جميع الصوفيين بدون تمييز.

هنا نقول لهما:

١ـ أين أنتم من قوله تعالى: ﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا﴾[1] ؟، وأين أنتم من سنة الرسول ﷺ عندما كان في غار حراء، ومن سنته في الاعتكاف في رمضان وغيره ؟.

أين أنتم من قول ابن تيمية في الفناء والحب والوجد ؟.

أين أنتم من قول ابن القيم في مدارج السالكين ؟.

أين أنتم من الدعاة العاملين في هذا العصر كأمثال الندوي، ومحمد إقبال، وابن باديس، والغزالي، والسيد سابق ، وعبد الحليم محمود،

---

(١) سورة الكهف: ٢٨.

وأبو الفيض المنوفي، وسليمان الدنيا، والشيخ أحمد كفتارو، والشيخ مكي الكتاني، والشيخ بدر الدين الحسني، والشيخ أبو الخير الميداني وغيرهم ؟ .

ومن الأشياء الطريفة التي تطالعنا في كتب السلفيين المعاصرين؛ العقيدة الصوفية والشريعة الصوفية، هذان الاصطلاحان وَهْمٌ من مؤلف كتاب الفكر الصوفي على ضوء الكتاب والسنة؛ لأن العلماء الصوفيين هم علماء الإسلام، وأساطين المعرفة الإسلامية، وعقيدتهم إسلامية، وشريعتهم هي شريعة القرآن، فاصطلاح عقيدة الصوفية أو شريعة الصوفية هو إقحام في غير محله، فهل أتى الجنيد بعقيدة جديدة ؟ والغزالي في الإحياء هل خصص أبواباً خاصة عن شريعة الصوفيين ؟ والقشيري والمحاسبي والسهروردي والتستري هل أتوا بأفكار تخالف عقيدة الإسلام ؟

إن التحامل الأسود المقيت على بعض الذين تعايشوا مع ظروف روحية خاصة ولم يتمالكوا إلا التصريح عما انكشف لهم، وذلك بسبب عدم اكتمال تربيتهم الروحية، ليس هذا حجة على التصوف ؟

وإذا أردت إحصاء هؤلاء فهم قلة، وأما الذين حضوا على الالتزام بالكتاب والسنة فهم كثر، وقد وضحنا ذلك في بحث التصوف على ضوء الكتاب والسنة، وجمعنا أقوال العارفين وحضهم على التمسك بالكتاب والسنة .

مقارنة بين ابن تيمية والغزالي

لقد أشار الغزالي إلى سلوك الطريق الروحي في المعرفة وهو طريق طهارة القلب: «وأول شروطها تطهير القلب بالكلية عما سوى الله، ومفتاحها استغراق القلب بذكر الله»[1] . وإن رد ابن تيمية بقوله: يستفاد من كلامه أن

---

(١) المنقذ من الضلال، ص ١٢٨، طبعة دار الكتب الحديثة، القاهرة.

أساس الطريق شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله كما قررته غير مرة وهذا أول الإسلام الذي جعله هو النهاية.

وإنني أقول إزاء هذا الاعتراض بأن ابن تيمية أغلظ على الغزالي بهذا لأنه لم يفرق بين القول والحقيقة، فالغزالي يريد الوصول إلى الشهادتين حقيقة ويقيناً لا لفظاً، ويؤكد الغزالي ذلك لأنه عاش مرحلة الشك على رغم كونه يؤكد لفظ الشهادتين.

* * *

آراء ابن تيمية في التصوف

آراء ابن تيمية في التصوف

قال: (وقد تنازع الناس في طريقهم: فطائفة ذمت الصوفية والتصوف وقالوا: إنهم مبتدعون خارجون عن السنة، وطائفة غلت فجعلت طريقهم أفضل الطرق) ثم يفصل في هذا الخلاف فيقول: (والصواب أنهم يجتهدون في طاعة الله، فمنهم المذنب والتقي، وقد صارت الصوفية ثلاث طبقات: صوفية الحقائق، وصوفية الأرزاق، وصوفية الرسوم، وأما صوفية الحقائق فهم الذين وصفناهم)[1].

ثم يقر بكرامات الأولياء فيقول: (وكرامات الأولياء حق باتفاق أئمة أهل الإسلام والسنة والجماعة، وقد دل عليها القرآن في غير موضع، والأحاديث الصحيحة والآثار المتواترة عن الصحابة والتابعين، ولهذا اتفق أئمة الدين على أن الرجل لو طار في الهواء ومشى على الماء، لم يثبت له ولاية ولا إسلام حتى ننظر وقوفه عند الأمر والنهي)[1].

وأما عن المواجيد فقال: (إذا كانت أسبابها مشروعة، وصاحبها صادقاً عاجزاً عن دفعها، كان محموداً على ما فعله من الخير، معذوراً فيما عجز عنه وأصابه بغير اختياره، وهم أكمل ممن لم يبلغ منزلتهم لنقص إيمانه وقساوة

---

(١) مختصر الفتاوي المصرية، ص ٦٠٠.

قلبه، ومن لم يزل عقله، مع كونه قد حصل له من الإيمان ما حصل لهم وأكمل، فهو أفضل منهم، وهذه حال الصحابة ـ رضي الله عنهم أجمعين ـ وحال نبينا محمد ﷺ، فإنه أسري به ورأى ما رأى من آيات ربه الكبرى، وأصبح ثابت العقل لم يتغير حاله ـ بلا شك ـ أكمل من حال موسى الذي خر صعقاً لما تجلى ربه للجبل وجعله دكاً، وحال موسى حال جليلة فاضلة علية، ولكن حال محمد ﷺ أفضل وأكمل وأعلى)[1].

كذلك يبرر ابن تيمية المقامات والأحوال بالطريقة نفسها؛ أي إذا فهمت بما هي في أصل الدين، دون تجاوز ولا مبالغة، فهو يقول: (أعمال القلوب، التي تسمى المقامات والأحوال، وهي من أصول الإيمان وقواعد الدين؛ مثل محبة الله ورسوله، والتوكل على الله، وإخلاص الدين له، والشكر له، والصبر على حكمه، والخوف منه والرجاء له، كل ذلك واجب على جميع الخلق المأمورين بأصل الدين باتفاق أئمة الدين)[2]. ويقول: (وهذه المقامات للخاصة خاصتها، وللعامة عامتها، وذلك لأن المحبة لله والتوكل عليه والإخلاص له، فهذه كلها خير محض، وهي حسنة محبوبة في حق كل من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين).[3]. ويُخطِّىء ابن تيمية الذين يذهبون إلى أن أعمال القلب وتوابعها: من الحب والرجاء والخوف والشكر ونحوه هي من مقامات الخاصة المتقربين بالنوافل، ويقرر أن: جميع هذه الأمور فرض على الأعيان باتفاق أهل الإيمان)[4].

وأشد هجوم ساقه ابن تيمية ضد الصوفية في رسالة إلى الشيخ نصر

---

(١) مختصر الفتاوي المصرية، ص ٥٧٠ـ٥٧١.
(٢) الفتاوي المصرية، ص ٥٨٧.
(٣) الفتاوي المصرية، ص ٥٨٩.
(٤) الفتاوي المصرية، ص ١٢٤.

المنبجي، ففيها يهاجم القائلين بالحلول والاتحاد العام أو الحلول المطلق، ويقرر أنه ما علم أحداً سبقهم إليه إلا من أنكر وجود الصانع، إذ هم يقررون أن عين وجود الحق هو عين وجود الخلق، وأن وجود ذات الله ـ خالق السموات والأرض ـ هي نفس وجود المخلوقات، فلا يتصور عندهم أن يكون الله تعالى خلق غيره ولا أنه رب العالمين ولا أنه غني وما سواه فقير)[1].

والخلاصة أن ابن تيمية لا يهاجم التصوف بما هو تصوف وإنما يهاجمه بما جرى من انحرافات في نظره، عن طريق التصوف الصحيح.

والشاطبي في الاعتصام لا ينكر أحوال الصوفية عامة، بل يرى أن من الواجب أن توزن أحوال الصوفية بميزان الشرع، فإن وافقته كانت صحيحة، وإلا كانت بدعة. وقال أحمد بن حنبل عن الحارث المحاسبي. (والحارث المحاسبي من كبار الصوفية المقتدى بهم) وأما ابن الجوزي وهو من كبار المتشددين في السلفية، فإنه يرى التصوف سلوكاً في نطاق الظاهر والرسوم الظاهرة، ولكنه لم يهاجم ولم يبين بفكر العالم كما بين ابن تيمية والشاطبي، وإنما أخذ أغلاطهم وحكم عليهم دون ذكر محاسنهم التي هي من الشرع، وإن ما هاجمهم به من أغلاط قد فندها السراج، وهذا لا يدل على حكم علمي دقيق كما وضح ابن تيمية والشاطبي.

وأبو الحسن الندوي؛ وهو من كبار علماء الإسلام، يحدثنا عن شيخ الإسلام ابن تيمية فيقول: إن شيخ الإسلام ابن تيمية يستحق بكل جدارة أن يعد من العارفين ورجال الله في هذه الأمة، وهناك ينشرح كل صدر للاعتراف، بأنه كان يتبوأ تلك المكانة، ويتمتع بجميع تلك الغايات التي لا

---

(١) مجموعة الرسائل والمسائل، ج ١، ص ١٧٢.

تتيسر ـ بوجه عام ـ إلا برياضات شاقة، ومجاهدات طويلة، وصحبة أئمة الفن، ودوام الذكر والمراقبة، وذلك ما يعبر عنه الصوفية المتأخرون (ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء)[1].

يقول العلامة الذهبي: (لم أر مثله في ابتهاله واستقامته، وكثرة توجهه، وكان يقول: إنه ليقف خاطري في المسألة أو الشيء أو الحالة التي تشكل علي فأستغفر الله تعالى ألف مرة أو أكثر أو أقل، حتى ينشرح صدري وينجلي إشكال ما أشكل).

وجاء في الكواكب الدرية: (وكان في ليلة منفرداً على الناس كلهم، خالياً بربه عز وجل ضارعاً إليه، مواظباً على تلاوة القرآن العظيم، مكرراً لأنواع التعبدات الليلية والنهارية، وكان إذا دخل في الصلاة ترتعد فرائصه وأعضاؤه حتى يميل يمنة ويسرة)[2].

وقال ابن القيم عنه: (وكان إذا صلى الفجر يجلس في مكان، حتى يتعالى النهار جداً، يقول: هذه غدوتي لو لم أتغد هذه الغدوة سقطت قواي)[3]. إن إنكار الذات عنده وصل حداً لم يصل إليه إلا العارفون المخلصون، قال ابن القيم: إنه كثيراً ما كان يقول: (ما لي شيء، ولا مني شيء، ولا فيَّ شيء) وإن مدحه أحد في وجهه قال: (والله إني إلى الآن أجدد إسلامي في كل وقت، وما أسلمت بعدُ إسلاماً جيداً)[4].

ويقول ابن القيم: (سمعت شيخ الإسلام ابن تيمية قدس الله روحه يقول: العارف لا يرى له على أحد حقاً، ولا يشهد له على غيره فضلاً،

---

(١) ربانية لا رهبانية، ص ٧٥، مؤسسة الرسالة.
(٢) الكواكب الدرية: ٥٦.
(٣) الرد الوافر: ص ٣٦.
(٤) مدارج السالكين، ج ١، ص ٦٩٦.

ولذلك لا يعاتب، ولا يطالب، ولا يضارب)[1]. وقال ذات مرة: (ما يصنع أعدائي بي ؟ إن جنتي وبستاني في صدري، إن رحت فهي معي لا تفارقني)[2].

ويقول العلامة بدر الدين العيني، صاحب عمدة القارىء شرح صحيح البخاري في تقريظ الرد الوافر: وهذا الإمام مع جلالة قدره في العلو نُقلت عنه على لسان جم من الناس كرامات ظهرت منه بلا التباس[3].

قال أحد العارفين: (يا حمامة الأيك قصي علي قصة ذلك الإنسان المشرد الذي لا دليل عليه ولا سبيل إليه، جزى الله عني من أحرق حشد الدماغ من فضول الصرف والنحو، والمنطق والفلسفة، وأذكى نار الحب الإلهي في قلبي، فما أعظمها من منة، وما أجلها من نعمة)[4].

(التربية الروحية القرآنية تهدف إلى تكوين الشخصية المؤمنة الرشيدة مشبعة بالعقل المدرك والفؤاد الذكي والفطرة السليمة).

* * *

(١) مدارج السالكين، ج ١، ص ٤٩٦.
(٢) الوابل الصيب: ص ٦٦.
(٣) الزاد الوافر: ص ٨٩.
(٤) قاله الشيخ أحمد كفتارو في إحدى محاضراته. ربانية لا رهبانية للندوي، ص ١٥٦.

النقد الذاتي عند الصوفيين

النقد الذاتي عند الصوفيين

قال أبو نصر السراج[1]:

وقد صنَّف الغالطين في التصوف إلى ثلاث طبقات: فطبقة منهم غلطوا في الأصول من قلة إحكامهم لأصول الشريعة، وصنَّف دعائمهم في الصدق والأخلاق، وقلة معرفتهم بذلك، كما قال بعض المشايخ: إنما حرموا الوصول لتضييع الأصول. وطبقة ثانية منهم غلطوا في الفروع؛ وهي الآداب والأخلاق والمقامات والأحوال والأفعال والأقوال، فكان ذلك من قلة معرفتهم بالأصول، ومتابعتهم لحظوظ النفوس ومزاج الطبع، لأنهم لم يدنوا ممن يروضهم ويجرعهم المرارات، ويوقفهم على المنهج الذي يؤديهم إلى مطلوبهم، فمثلهم مثل من يدخل بيتاً مظلماً بلا سراج، فالذي يفسده أكثر مما يصلحه، وكلما ظن أنه قد ظفر بجوهر نفيس لم يجد معه إلا خزفاً خسيساً، لأنه لم يتبع أهل البصيرة الذين يميزون بين الأشباه والأشكال والأحباس، فعند ذلك يقع لهم الغلط، ويكثر منهم الهفوة والشطط، فهم متحيرون ومتفرقون بين منهزم ومفتون.

والطبقة الثالثة كان غلطهم فيما غلطوا فيه زلة وهفوة لا علة وجفوة،

---

(١) اللمع لأبي نصر السراج ص ٤٠٩ـ٤٣٥.

فإذا تبين ذلك عادوا إلى مكارم الأخلاق ومعالي الأمور، فسدوا الخلل ولموا الشمل وتركوا العناد، وأذعنوا للحق وأقروا بالعجز، فعادوا إلى الأحوال الرضية والأفعال السنية والدرجات الرفيعة.

وهاجم السَّراج الحلوليين والاتحاديين قال: إن صح عن أحد أنه قال هذه المقالة وظن أن التوحيد أبدى له صفحته بما أشار إليه، فقد غلط في ذلك وذهبت عليه أن الشيء مجانس للشيء الذي حل فيه، والله تعالى بائن من الأشياء، والأشياء بائنة منه بصفاتها، والذي ظهر في الأشياء فذلك آثار صنعته ودليل ربوبيته لأن المصنوع يدل على صانعه، والمؤلف يدل على مؤلفه، وإنما ضلت الحلولية. ثم تابع: فمن صح عنه شيء من هذه المقالات فهو ضال بإجماع الأمة، كافر يلزمه الكفر فيما أشار إليه.

والذي غلط في الحلول غلط لأنه لم يحسن أن يميز بين أوصاف الحق وبين أوصاف الخلق، لأن الله تعالى لا يحل في القلوب، وإنما يحل في القلوب الإيمان، والتصديق له والتوحيد والمعرفة.[1]. وعلى كل حال أنكر السراج الحلول والاتحاد إنكاراً قاطعاً صريحاً، ودفع القائلين به بالكفر الصراح والضلال بإجماع الأمة. وقد ألف عبد الرحمن السلمي رسالة في غلطات الصوفية.

وكذلك نجد أن الغزالي يظهر غلطات الصوفية في كتابه المقصد الأسنى. قال في كتابه المنقذ من الضلال: وذلك حين ينطقون بعبارات وهم في وجدهم، يُشْتَمُّ منها معاني الحلول والاتحاد والوصول، ثم يترقى الحال من مشاهدة الصور والأمثال إلى درجات يضيق عنها نطاق النطق، فلا يحاول معبر أن يعبر عنها إلا اشتمل لفظه على خطأ صريح لا يمكنه الاحتراز عنه،

---

(١) اللمع للسراج: ص ٤٢٦-٤٢٧.

وعلى الجملة ينتهي الأمر إلى قرب يكاد يتخيل منه طائفة الحلول، وطائفة الاتحاد، وطائفة الوصول، وكل ذلك خطأ، وقد بينا وجه الخطأ في كتاب المقصد الأسنى[1].

وقد بين الغزالي في المقصد الأسنى أن للمعرفة سببين: أحدهما السبيل الحقيقي، وذلك مسدود إلا في حق الله تعالى، فلا يهتز أحد من الخلق لنيله وإدراكه إلا ردته سبحات الجلال إلى الحيرة، ولا يشرئب أحد لملاحظته إلا غض للدهشة طرفه، وأما السبيل الثاني وهو معرفة الأسماء والصفات، فذلك مفتوح للخلق، وفيه تتفاوت مراتبهم[2].

فالطريق إلى الله طريق حب وإيثار وطاعة للأوامر وانتهاء عن النواهي، وموافقة للشريعة، والوصول إلى سلوك الحقيقة التزاماً وخلقاً وسلوكاً وتزكية. فالصوفي مخلوق له ذوق عظيم استمده بوجدان رفيع يسمو إلى محبة الله ليزداد إيماناً؛ والصوفي دائم الفكر، كثير الذكر، دائب العبرة، غزير الحلم، محب للعلم، كاره للجدل، أخذ الحق منه كل مأخذ فلا ينازع في شيء، سهل المراجعة، همته في البحث عن الحق ولو ظهر الحق على لسان غيره من الخلق أخذ به. ولذلك يتسع صدره لجميع الخلق، ويقبل عذرهم، لين الانقياد للحق فهو أعف الخلق، وأعمقهم وداً، صابر محتسب وفيٌّ مؤدب، فمن تحققت فيه هذه الصفات فهو الصوفي، فكيف نتهم من تحققت هذه الصفات فيه بالانحراف، وهو المسلم المؤمن الصادق ؟

وجاء في أقوال الإمام أحمد السرهندي:

(وعلماء الظاهر من أهل السنة والجماعة وإن كانوا مقصرين في بعض

---

(١) المنقذ من الضلال: ص ٥٠.

(٢) المقصد الأسنى: ص ٢٢.

الأعمال ولكن يظهر في النظر أن لجمال صحة عقائدهم من النورانية ما تضمحل فيه تقصيراتهم وتتلاشى)[1].

وهذا كلام فيه إنصاف للشريعة وأهميتها، ونجده عند الكثير من علماء التصوف الإسلامي الصحيح.

* * *

(١) المكتوبات الربانية: ص ١٤.